القيم الأخلاقية ودورها في تنظيم المجتمع

Moral values and their role in community organization.

وسيلة شريبط[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة

cherwassi@gmali.com

تاريخ الوصول 2018/11/22 القبول 2020/11/25 النشر على الخط 2021/01/15

Received 22/11/2018 Accepted 25/11/2020 Published online 15/01/2021

ملخص:

فعلا ترتبط علاقات المجتمعات بمجموعة القيم والقواعد الأخلاقية السائدة والمنضبطة فيها، سواء أكان منها ماديا يتجسد عملا وقبله قولا، أو كان منها معنويا يعكس أبرز صور التلاحم والتكاثف على جميع الأصعدة والمستويات التي تتدرج ابتداء بعلاقة الفرد بربه عز وجل ثم علاقته بأفراد أسرته التي يحيا بين جنبيها خاصة اتجاه والديه، ثم الأرحام فالجيران والرفاق وسائر الناس، ليكشف بذلك عن تفاعله في بناء وتطور وتنظيم مجتمعه.

الكلمات المفتاحية:

القيم، الأخلاق، فلسفة الأخلاق، المجتمع، الصلة، العلاقات، الإلزام، التنظيم.

Abstract:

actually linked communities relationships set values and ethical norms prevailing and disciplined them, whether such material is embodied in accordance with and accepted by word, or had them morally reflects the most prominent images cohesion and condensation at all levels and levels ranging from the relationship of the individual with his God, then his relationship members of his family, who live between the private direction of his parents, and neighbors therefore wombs and comrades and other people, thus reveals its interaction in the construction and development of the organization and community.

.

Keywords: Value, Moral, Ethics philosophy, the society, The link, relations, Obligation, Organization.

[1] المؤلّف المرسل: وسيلة شريبط الإيميل: cherwassi@gmali.com

مقدمة:

يعتبر علم الأخلاق أحد العلوم المعيارية حيث ينقسم إلى مجالين بارزين هما علم الأخلاق النظري أو ما يسمى بفلسفة الأخلاق، وعلم الأخلاق العملي الذي يبحث أنواع القيم الفاضلة التي يسعى الإنسان إلى أن يتحلى بها ويترجمها إلى ممارسة حية في حياته اليومية، وعلى هذا فللأخلاق وجهان: وجه نظري يمثل المبادئ والنظريات، ووجه عملي يجسد التطبيق العملي لهذا السلوك داخل كيان معين.

وعلى ما ذكر تتميز الأخلاق الإسلامية بجملة من الخصائص جعلتها صالحة لكل الناس ولكل الطبقات، ومهما اختلفت البيئات في أي زمان أو مكان، ومنه فهي ربانية المصدر، واقعية وممكنة التطبيق، شاملة وعامة، وما يميزها أكثر اهتمامها بالنوايا والمقاصد، وكذا جمعها بين الإلزام كمصدر والالتزام كحرية...ولعل من أهم الجوانب الأخلاقية التي عالجها الإسلام وتضمنت نصوص الشريعة التأكيد عليها مصادر الإلزام الخلقي المتمثلة في الدين، والمجتمع أو الجماعة، والضمير الخلقي، والعقل والإدراك ثم العادات، والتقاليد، ومختلف أعراف المجتمع، وكل هذا ضمن ضوابط الاستطاعة وسهولة التطبيق.

أما عن البناء الاجتماعي فقد حظي بوافر اهتمام من القرآن والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، لأن علاقات الفرد الاجتماعية تنعكس بصورة مباشرة وواضحة على كيان المجتمع، ومن أهم هذه العلاقات: العلاقة بالوالدين، العلاقة بالأرحام، العلاقة بالجيران، العلاقة بالرفقاء والمعارف وسائر الناس، وما القرض الحسن إلا صورة ناصعة لقيم الأخلاق الإسلامية، وكل الذي سبق ينضوي ضمن مبادئ هي الأخوة، والتقريب بين الغني والفقير، والتكافل الاجتماعي، وكأخص معنى له التضامن في المسؤولية.

من خلال العرض السابق يمكن إثارة الإشكالية الرئيسة لموضوعنا الموسوم ب: القيم الأخلاقية ودورها في تنظيم المجتمع، من حيث: كيف تسهم القيم الأخلاقية في ضبط المجتمع وتنظيمه؟ ومن التساؤلات الفرعية: ماهي خصائص الأخلاق الإسلامية؟ وما مصادر الإلزام الخلقي فيها؟ ثم ما صورة المجتمع الذي يحترم المبادئ الخلقية في مختلف تشكيلاته؟

للإجابة عن هذه التساؤلات نعرض تفاصيل أهم نقاط البحث في العناصر الآتية:

أولا: خصائص الأخلاق الإسلامية

ثانيا: مصادر الإلزام الخلقي

ثالثا: مبادئ أخلاقية تحكم المجتمع الإسلامي

رابعا: نماذج تطبيقية للعلاقات داخل المجتمع

أولا: خصائص الأخلاق الإسلامية

ما يميز الإسلام عن باقي الأنظمة المادية عدم فصله بين الأخلاق وشتى المناحي المرتبطة بها كالعلم والاقتصاد والاجتماع والسياسة والحرب...ذلك لأن الإسلام رسالة أخلاقية بإعلانه –صلى الله عليه و سلم– أنه ما بعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق[1]، لهذا تلقى المثل والفضائل الرعاية اللازمة في دين الإسلام على اعتبار أنها تقوم على جملة خصائص مكنتها وجعلتها صالحة لكل فرد وكل جنس، وفي كل الأزمنة والأمكنة والبيئات، ولهذا تتجلى خصائص الأخلاق في أنها ربانية المصدر، واقعية ممكنة التطبيق، إيجابية، شاملة، وأهم خاصية فيها اعتناءها واعتدادها بالنية والقصد، وسنتولى بيان هذه الخصائص على النحو الآتي:

1 **الأخلاق ذات مصدر رباني**: ذلك أن خالق الإنسان هو المولى عز وجل فهو أعلم بمداخل نفسه وأغوارها، وبناء وتركيبة الفطرة فيه ومدى استجابتها وملاءمتها للأخلاق، وذلك استنادا إلى مصدر العلم الشامل والحكمة التامة والرحمة العامة، والخبير المطلق والحق الكامل، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يونس، هكذا ينجلي أن الله تعالى واضع أصول الأخلاق وهو الذي حدد أساسياتها في صورة متناسقة بين مظهرها ومخبرها، ولهذا فأمر الله عز وجل الناس بتنفيذ الأخلاق إنما هو لتحقيق الصالح الخاص والعام، ويكون طلبا لرضوان الله فكان الصدق والصبر والعدل والرحمة التزاما يحقق السعادة في الدنيا والآخرة بقبولها عن رضا وطيب نفس.[2]

إن النفس البشرية في جانب سلوكها الإنساني تصور ألوانا من الخوالج والعواطف، في جانبها السلبي وكذا الإيجابي وكلها مستقاة من الفطرة التي جبل عليها الإنسان، فخالق النفس البشرية هو من يحيط بأسرارها وخباياها، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – من بيّن وفصّل أغوارها وكيف يمكن أن تكون موجهة نحو سبيل الرشاد أو سبيل الغي، وما يترتب عنهما من استقامة أو انحراف يدلل عنهما بما ينفع الشخص ذاته ومحيطه أو ما قد يدفعه إلى الإضرار بنفسه ابتداء، وانعكاس ذلك على من يحيط به أيضا، أي في كل ما يمكن أن يستحدثه الفرد أو الجماعة من سلوك، قال الله تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس.

---

[1]- أبو بكر أحمد بن عمرو البزار ،البحر الزخار (مسند البزار)، حديث رقم 8949 تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (ما بين 1988م، و 2009م)، ج05 ص364.- وأخرجه البيهقي برقم:20782، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003م، ج10 ص323.

[2]– انظر: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، باتنة، الجزائر، شركة الشهاب، ص 39.– جمال نصار، مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي، ط1، دار الوفاء، 1425هـ/ 2004، ص 37.

هكذا يتميز علم النفس من الوجهة الإسلامية باعترافه لذاتية الإنسان التي ترقى به وتميزه عن باقي المخلوقات، ومنها ما يختلجه من مشاعر وأحاسيس ورغبات فالإنسان إلى جانب سلوكه الخارجي المادي يستطيع ترجمة ميوله وعواطفه حسيا[1] لهذا كان استثمار الإسلام للغرائز الفطرية للإنسان، وهذا بتوجيهها إلى غاياته بتحقيق أمرين هما: التشريع الملزم، والملكات الإنسانية العليا من العقل والوجدان والإرادة والفلسفة، مثال ذلك الغضب فهذه غريزة فطرية موجودة عند كل الناس، وهي في ذات الوقت أمر منهي عنه شرعا، ولكن النهي لا يعني اجتثاثها بالكلية، وإنما توجيهها لقيم سامية تنبعث حتى يتم تحقيق مختلف المصالح الحيوية للفرد والجماعة، إذن فالحكمة هي روح الفعل والغاية منه لا مجرد صورته المادية لهذا فالغضب المنهي عنه ما كان نصرة للشيطان والباطل، أو لأغراض تنافي جميع المقاصد الإنسانية، أما الغضب نصرة للحق فمأمور به وإلا كان نفسه شيطانا أخرسا، فهو وإن كان قهرا للباطل وذودا عن الحرمات والحمى والأوطان فهو لازم ومفروض والأمر نفسه فيما يخص الشهوات المذمومة قال المولى عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف وكل ما سبق الغاية منه تحقيق المثل العليا والفضائل الخلقية والتي لن تستطيع القوة المادية وحدها الوصول إليها أو حتى ضمان استمرارها.

2- الأخلاق واقعية وممكنة التطبيق:أي إنها تخاطب بشرا يمشون على الأرض، لهم دوافع وشهوات، مطامع وآمال، مصالح وحاجات، تشدهم الأرض بدوافع الجسد، وترتفع بهم السماء بأشواق وصفاء الروح، بكل ما ذكر تجسدت نماذج خلقية رفيعة مثلها البشر كان على رأسهم الأنبياء ومن اتبعهم وهذا في تجسيد واقعي للصلابة والصبر والطاعة والوفاء والرضا والابتعاد والتحذير من منكرات رذائل الأخلاق.

إذن من واقعية الأخلاق الإسلامية أنها تخاطب بشرا لا ملائكة بطبيعة أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، بل هم بشرا خلقوا من طين وحمئ مسنون، ونفخ فيهم من روح الله تعالى، فهم يذنبون ثم يتوبون مع التفريق بين كبائر الآثام وصغائر الذنوب.

هي واقعية كذلك لأنها تقر التفاوت الفطري بين الناس وتفاوت درجات إيمانهم واستجابتهم للأوامر والانتهاء عند النواهي، لهذا فالناس على درجة الإسلام ودرجة الإيمان ودرجة الإحسان، وكذلك على درجة الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات.

ومن دلائل واقعيتها أيضا أنها راعت الظروف الاستثنائية كالحرب فأبيح الكذب لأجل تضليل العدو أو حتى الكذب لأجل الإصلاح بين الناس.

[1]- إبراهيم محمد، النفس الإنسانية في القرآن الكريم، ص 39.

3- الأخلاق ذات شمولية وعموم: من خصائص الأخلاق الإسلامية أنها أخلاق شاملة جامعة للفرد في أقواله وللجماعة ثم للإنسانية حيث نجد الأخلاق الإسلامية قد نظمت كل جوانب الحياة الأساسية روحيا وجسميا ودينيا ودنيويا، عقليا وعاطفيا، فلم تعرف التفرقة في مجال الأخلاق بنسبه إلى الدين، والفلسفة والعرف، إذ كلها مجموعة في مسمى القانون الأخلاقي الذي يضم الآداب الراقية والتعاليم السامية.

4- اهتمام الأخلاق بالنية والمقصد: تدور الأخلاق في فلك النية التي تحول العمل من فضيلة إلى رذيلة،ومن تفاوت الأخلاق وتفاضلها بحسب القصد والنية تحول العادة إلى عبادة لأنها معتمد جميع الأمور لحديث: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...[1]وتظهر أهمية النية فيما لو اقترنت بالعمل فيتحقق مجموع القصد والعمل، إذ صلاح الأعمال وفسادها بصلاح النيات وفسادها[2] فلا تغني النية عن العمل والعكس صحيح، إذن فجوهر الأخلاق عملا هي النية بلا أدنى شك.[3]

5- الأخلاق تجمع بين الإلزام كضابط والالتزام كحرية: بالعقل والإرادة يوقع الإنسان أفعاله اختيارا منه فتقع على جانب الخير والشر، وبالتالي القبول أو الرفض، إلا أن هذا الاختيار لا ينافي الالتزام بل هو من ضروراته، ومنه فالاختيار المرشد هو التزام وحرص من المسلم لكي يوافق اختياره أوامر الله تعالى ونواهيه، فالمؤمن مطالب بترك الحرام فإن حصل منه هذا استوثق لدينه بأن يتورع عن بعض الحلال خشية الوقوع في الحرام مثلا.[4]

6- الأخلاق والإيجابية: أي إنها واحدة مهما اختلفت الظروف والأزمنة والأمكنة، فلا هي تتغير مجاراة للركب أو التيار، وإن اشتدت المحن والأزمات فهي مبنية على القوة في ذاتها ولمن اتصف بها في ثقة وأمل تقاوم العجز واليأس وكل مظاهر الضعف والخنوع، قال الله تعالى: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾ مريم، بل حتى الرسول – صلى الله عليه وسلم- بين الإيجابية في حديث: إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل[5]، وفي هذا دعوة إلى مواصلة العمل والفعل الإيجابي وهذا اعترافا بقيمة العمل في حد ذاته.

والإيجابية في الاستجابة الفاعلة ما كان من رد فعل الصحابة رضوان الله عليهم حيث قالوا للنبي – صلى الله عليه وسلم- لن نقول لك مثل ما قال بنو إسرائيل لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا بل إذهب أنت وربك فقاتلا إنا

---

[1] – أخرجه البخاري في صحيح، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 9/1 حديث رقم 1، كما أخرجه في سبعة مواضع منها: كتاب الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية ولكل امرء ما نوى، ابن حجر، الفتح، 135/1، حديث رقم 54.

[2] – أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، ط1، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1381/ 1961، 2/ 312.

[3] – لعل هذا يقابل مذاهب الأخلاق التي تهتم بالنتائج وحدها وتغفل جانب النية تماما، مما يعني العجز عن إصدار أي تقييم خلقي حقيقي، مع التركيز على الوسائل دون الغايات وبالتالي تحد من سمو الأخلاق، جمال نصار، مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي، المرجع السابق ص 42.

[4] – عكس ما قامت عليه المذاهب الأخلاقية التي أبعدت الالزام وأحلت التحرير مثل نيتشه وجيو أي أصحاب الفلسفة الوجودية التي تجعل الفرد صانع القيم. المرجع السابق نفسه، ص 43.

[5]-علي بن أبي بكر الهيتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: تحقيق حسام الدين القدسي . مكتبة القدسي . القاهرة، /1414 هـ1994م. ج04 ص63.

معكما مقاتلون[1]، ومن مظهر ذلك اتساع رقعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنحسر المظاهر السلبية المختلفة وعلى رأسها الانحلال الخلقي.

ثانيا: مصادر الإلزام الخلقي في الإسلام

من خصائص الإلزام الخلقي أنه إلزام بقدر الاستطاعة وهذا تماشيا مع مبدأ مقتضيات الأخلاق السليمة المعبر عنها بالعدالة الإلهية وفق لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، بحيث لا ينصلح حال الأخلاق عملا إلا بهذا الشرط، وإلا كان الظلم وهذا مناف حتى للذات العلية.

سهل التطبيق وذلك من باب ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، لأن ذلك يضع الناس في عسر وضيق وهذا ما لم يرد به الله عباده بل أراد لهم الهداية والتيسير، ومن الحكمة البالغة لهذا التنظيم أن التكليف به لا يستنفذ كامل طاقة الإنسان بشكل مستمر مما يؤدي به إلى الفشل بالتأكيد، وحتى الإصر الذي وضع ضمن أحكام الرسالات قبل الإسلام كان من باب الاستثناء ليس إلا، حتى يكون هذا النظام صالحا للتطبيق لكل الناس ومن ذلك الأساس الأخلاقي.

كما تترتب المسؤولية والجزاء الاجتماعيين كأساس للبناء الأخلاقي من حيث المسؤولية الاجتماعية قد يبدو من غير المنطقي والمعقول أن يسأل الشخص عن سلوك غيره لتعارض ذلك مع مبدأ المسؤولية الشخصية وذلك من وجهة نظر الاتجاهات الأخلاقية والقانونية التي تذهب في ذلك اتجاهين أحدهما فردي تقر بالمسؤولية عن السلوك الخاص، والآخر اجتماعي يرى إمكانية سؤال الجماعة عن سلوك أفرادها ولكن في حدود ضمن بعض الأفعال والجرائم.[2]

وبخصوص نظرة الإسلام فهو يقرر المسؤولية الفردية بصفة مطلقة والنصوص كثيرة: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الأنعام، وما أبلغ وصف النبي-صلى الله عليه وسلم- لجماعة السفينة[3] وهي تمثل صورة مصغرة للحياة الاجتماعية، وأن ضياع حياة الجماعة يكون بإحداث الخرق في السفينة، بل لا غرابة في التفكير الأخلاقي أن يسأل الإنسان عن فعل الشر بل كذلك عن دفع الشر لأن في ذلك تحقيق الخير وتنميته وإزالة الشر، ولهذا تمتد درجة الارتباط بين المسؤولية الفردية التي تكاد تندمج في المسؤولية الاجتماعية[4].

---

[1]-البخاري برقم:3952، المصدر السابق، ج05 ص 73.

[2] – علي عبد الواحد، المسؤولية والجزاء، ط3، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، 1383/ 1963، ص 61 وما بعدها.

[3]-البخاري، حديث رقم: 2493، المصدر السابق، ج03 ص139. الحديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا".

[4] – محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1412/ 1991، ص 155.

أما الجزاء الاجتماعي فيقع على الوصف غير المباشر وذلك لمواجهة انتشار الانحلال الأخلاقي كالكذب والخيانة والرشوة والمحاباة والأنانية....على اعتبار أنه يؤدي إلى انحلال العلاقات الاجتماعية الأخلاقية، كذلك ما يقرره المجتمع من عقاب للمنحرف ومكافأة للصالح، يعتبر الجزاء الجماعي أكثر وقعا وشدة ولأنه يكشف الأشخاص المفسدين أمام أنفسهم والناس، فإذا لم يعالج المجتمع مظاهر الانحراف الأخلاقي استعصى العلاج وكان سببا في هلاك الجميع.

وعليه فمصادر الإلزام الخلقي في الإسلام مرجعها الأساس الآتي بيانه:

1 –الدين: وهذا فيما يتضمنه من معتقدات ومبادئ وأوامر وقيم ورغائب تحدد القواعد العامة للسلوك، وهذا بلعب دور فاعل في الحياة الخاصة والعامة وبالتالي فهو أهم مصدر من مصادر الإلزام الخلقي، وبهذا فالقواعد الخلقية المستمدة من الدين تتميز بالعمومية والإطلاق والإنسانية وصفة القداسة وبقائها عبر الأجيال، فهي ذات مصدر إلهي لأنها ترجع إلى وحي الله تعالى الذي يعلم الظاهر والباطن والسر والعلن، وبالتالي فهو واضع النظام الأخلاقي وهو المراقب لسلوك الناس وأعمالهم وهو من يحصيها لهم أو عليهم.

2 –المجتمع أو الجماعة: وهذا نتيجة إلزامية سلطة الجماعة فالمجتمع مسؤول عن انحراف أفراده الذي قد يؤدي إلى انحراف المجتمع ككل، ذلك أن ضعف الوازع الديني يجعلهم لا يخافون الله فيفعلون ما يشاؤون دون رقيب أو حسيب، وعلى هذا ينزل البلاء عليهم فيعم المفسدين والصالحين، ولكن بدرجات متفاوتة من المسؤولية والحساب.

3 –الضمير الخلقي: أي الحاسة الخلقية التي يمتلكها الإنسان وبها يميز بين الحسن والجميل مما هو قبيح وضار، ما يؤدي إلى الاطمئنان للأول والنفور من الثاني الالتزام بالأول والابتعاد عن الآخر لقوله– صلى الله عليه و سلم–البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك والنتيجة هي الناس[1]

ويمكن اعتماد الضمير الخلقي إذا وافق روح الدين أي هذا الضمير إذا استقر في النفس أثمر الإيمان بالله والخشية منه تعالى فينطبع على السلوك عامه وخاصه.

4 –العقل والإدراك: للعقل قوة كبيرة على التمييز بين الخير والشر وعلى توجيه الناس ودعوتهم إلى الخير والمثل العليا، والتنفير من المعايب والرذائل، بل يصل إلى حد الإلزام باتباع القواعد والمقتضيات اللازمة، فعند إدراك العقل أن عاقبة الفعل وخيمة سيتجنبه، وعلى عكس ذلك يقدم على فعله، وعلى هذا فالأخلاق وسيلة للخير كما أن التجرد منها شر، لهذا فالعاقل من يلتزم بالأخلاق عقلا.

5– العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية: يمكن للعادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية أن تلعب دورا فاعلا في توجيه الأخلاق وجهة معينة، فالعادة التزام الناس بمسلك معين في مجال الأفكار والعواطف والعقائد، أما العرف فهو ما استقر العمل به لمدة زمنية واستقر في ضمير الجماعة إلزامه، وهذا بشهادة العقول وتلقي الطبائع له بالقبول، بينما

[1]– مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: 2553، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت/ لبنان، ج 4 ص 1980.

التقاليد الاجتماعية فهي مستمدة من العرف متى استمر العمل بها من جيل إلى جيل، وتعتبر هذه الثلاث متقاربة في المعنى وتؤثر في السلوك، وبالتالي فهي مصدر إلزام.[1]

ثالثا: مبادئ أخلاقية تحكم المجتمع الإسلامي:

يقوم المجتمع الإسلامي على ركائز تميزه عن باقي المجتمعات، وهي التي تبقيه قائما ومتماسكا ولعل من أهمها مبدأ الأخوة، وإنكار الطبقية، والتكافل والتضامن وغيرها وبيانها كالآتي:

أ/ مبدأ الأخوة: أي أخوة الدين الإسلامي خاصة والأخوة الإنسانية عامة والتي قد تقوم على أساس الوطن الواحد في إطار الحب والتعاون والتعايش، إذ تجمع بين مختلف الأطياف سواء بين المسلمين وغيرهم ضمن قوانين وأحكام الشريعة الإسلامية العامة التي تطبق على الجميع بخصوص الحقوق والواجبات إذ لا فرق بين مسلم وغيره فيها[2]، إلا فيما يتعلق بالأمور الخاصة بعقيدة غير المسلم فتترك حسب عقيدته، وقد جاء النص القرآني مقررا لهذا المبدأ بجانبيه العام والخاص من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات، وقوله أيضا: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾ الحجرات، كما بين الرسول–صلى الله عليه وسلم– هذا المبدأ العظيم بأن الأصل الإنساني كله يرجع إلى سيدنا أدم — عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام–وعليه قرر الرسول —صلى الله عليه وسلم– أن: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه[3]، بل قد رجحت هذه الأخوة على صلة النسب لقوله تعالى:﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢ ﴾ المجادلة، كما جمعت هذه الأخوة بين قلوب المسلمين في المعونة والنصح والمحبة وهي أكبر نعمة من الله تعالى مصداق قوله:﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾ الأنفال.

---

[1] – إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 4، 1405، 2/ 412.

[2] – مجاهد محمد هديري، منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية، ط1، مصر، مطبعة الأمانة، 1398هـ/ 1978م، ص 63.

[3] – محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) حديث رقم: 2442، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، ج3 ص 128.

ب/ مبدأ إنكار الطبقية: لئن كان الغنى والفقر حقيقتان واقعتان في كل مجتمع، إلا أن الشريعة الإسلامية ليس فيها نظام الطبقية[1] على أساس الغنى والفقر إنما الفضل بالتقوى والعمل الصالح لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات، وقوله –صلى الله عليه وسلم–: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[2]، كما ترفض الشريعة أن يكون الناس طبقات على أساس النسب أو الجاه والسلطان، وكرست ذلك فيما شرعته من عبادات ومعاملات إذ كان المسلمون الأوائل يقربون ويؤثرون الضعفاء على الفضلاء.[3]

ج/ مبدأ التقريب بين الغني والفقير: يتفاوت الناس في قدراتهم الفكرية والمادية وعليه لا يخلو مجتمع من أغنياء وفقراء مصداق قول المولى تعالى: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾ الزخرف، لهذا جاءت الشريعة لعلاج الفقر وهذا بالقضاء على أسبابه حتى تقرب المسافة أكثر بين الغني والفقير بعدة وسائل منها ضرورة السعي في طلب الرزق قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾ الملك، وقوله–صلى الله عليه وسلم–: إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة، ولا الصيام، ولا الحج، ولا العمرة، قالوا: فما يكفرها يا رسول الله؟ قال: الهموم في طلب المعيشة[4]، وتنكر الشريعة على القادر عزوفه عن العمل كالشاب الذي جاء النبي –صلى الله عليه وسلم– يسأله صدقة فلما رآه على تلك الحال أمره بفأس ليحتطب ثم يعود بعد مدة حيث قال –صلى الله عليه وسلم –: لئن يحتطب أحدكم بفأسه خيرا له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه[5]. وكذلك تكريم العمل اليدوي إذ خير ما يأكل الإنسان من كسب يده، بالمقابل نهى عن تكديس الثروة بيد فئة قليلة حتى لا تنشأ دولة داخل دولة، ولتوزيع المال شرعت عدة أحكام كالكفارات التي تجمع بين العقوبة والعبادة، إذ غالبها وجوب إطعام الفقراء بمقادير محددة، وهي ديون تتعلق بالذمة حتى تؤدى، فهي على هذا علاج للفقراء وسداد للعجز الذي قد لا يصل إلى علم القائمين على الشؤون العامة للمسلمين.

---

[1] – مجاهد محمد هديري، منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية، المرجع السابق، ص 70-71.

[2]-أخرجه مسلم برقم: 2564، المصدر السابق. ج04 ص 1987.-محمد بن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان الطبعة: الثانية، 1414ه 1993م، ج02 ص119.

[3] – انظر منهج الإسلام في التفاضل بين البشر، مجاهد محمد هديري، المرجع السابق، ص41 وما بعدها.

[4]- سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة/(ب د ت)، برقم:102،ج01 ص38.– أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، القاهرة/ مصر، 1394ه – 1974م، ج06 ص335.

[5]–البخاري برقم: 1471، المصدر السابق، ج2 ص123.– مسلم برقم: 1042، المصدر السابق، ج2 ص 721.

د/ مبدأ التكافل الاجتماعي: شرع التكافل لسد حاجات المحتاجين مصداق قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ ﴾ المعارج، وهذا التكافل نطاقه يبدأ من الأسرة فالمجتمع في القرية أو في المدينة إلى أن يصل إلى الأمة جمعاء، ففي الأسرة بين القرآن إنفاق الأقارب على بعضهم البعض بقوله: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٧ ﴾ الفتح، ثم على مستوى المجتمع الصغير نجد واجبات الجار التي تأتي بعد الإحسان إلى الأقارب، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ النساء، وعلى مستوى القرية أو المدينة تجب معاونة من يحتاج وتضطره الحاجة إلى الطلب لهذا قدرت الصدقة فضلا عن الزكاة قال الله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ البقرة، حتى أن التكافل لا يشمل مكانا واحدا بل يشمل الأمكنة كلها[1] وفي نطاق الأمة فصمام الأمان الزكاة التي هي تطهير النفوس وإذابة الفوارق وتحقيق مبدأ المساواة لصالح الفقير المحتاج خاصة، وقد فرضها الله وبين مصارفها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ التوبة، فالإيمان بفريضة الزكاة هو معلوم من الدين بالضرورة[2].

هـ/ مبدأ التضامن في المسؤولية: تتبنى الشريعة مبدأ من أسمى المبادئ القائم على الأخوة بما يعرف بمبدأ المسؤولية المشتركة أو التضامنية في حال وقوع مخالفات أو تقصيرات تمس حقوق الجماعة وأمنها ونظامها، وتتجلى هذه المسؤولية

[1] – محمد علي محجوب، الوسيط في التشريع الإسلامي ونظرياته العامة، مصر، شركة ناس للطباعة، ص 30.

[2] – من الملاحظ أن الإنفاق على الفقراء والمحتاجين والعاجزين واجب الدولة بإجماع الفقهاء سواء تولت جمع الزكاة أم لا، وسواء أكانت أموال الزكاة كافية أم غير كافية، وهذه الرعاية واجبة للمسلمين وغيرهم، وهذا هو مضمون التكافل الاجتماعي في الإسلام. المرجع السابق نفسه، ص 31.

اعتمادا على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1] لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران، هذا الواجب الكفائي يدفع إلى النصح والإرشاد ويؤدي إلى تعاون أفراد المجتمع دفعا للآفات الخلقية والاجتماعية فكان عنوانا مميزا للأمة الفاضلة قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران، حيث أوجب الله اللعنة على بني إسرائيل لتركهم هذا الواجب قال ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ المائدة، فهذا الواجب على إطلاقه تفرضه الشريعة في كل حالة يقع فيها ما يمس بحقوق الأفراد والمجتمع على حد سواء[2].

رابعا: نماذج تطبيقية للعلاقات داخل المجتمع:

تظهر أهمية الأخلاق في بناء النسيج المجتمعي أساسا من حيث مساسها بنواحي السلوك الفردي الذي ينعكس على ازدهار المجتمع عموما، ولهذا لخص النبي-صلى الله عليه وسلم-رسالته بالتعبير الجزل الذي أوتي به جوامع الكلم حيث قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ولإبرازه في موضع آخر عظم تأثير حسن الخلق كما وتقوى الله، كذلك يوم عرض الأعمال إذ أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق، بل إن حقيقة الدين تدور حول حسن الخلق في إبعاد ذميمة كبيرة هي الغضب.

والمكارم الخلقية التي عالجها الإسلام في النفوس كثيرة لا تحصى لذلك سنعرض بعضا منها لدلالتها على المقصود، إذ إن بناء العلاقات الاجتماعية لديه قسط وافر من اهتمامات القرآن والسنة النبوية وفق مبادئ أخلاقية تحكم المجتمع الإسلامي حيث تتنوع العلاقات داخل المجتمع وتبدأ بأخصها وهي العلاقة بالوالدين ثم بالأرحام فالجيران، وتتوسع لتكون أكثر تعقيدا وتشابكا مع مختلف العلاقات العامة مع تنوع الناس، عليه نأتي إلى عرض تطبيقي لجملة من العلاقات على النحو الآتي:

[1] – أي ما يسمى بالدفاع الشرعي العام تمييزا له عن دفع الصائل لأنه أخص منه.انظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، ج1،ط 4، مؤسسة الرسالة، 1403هـ/ 1983م، ص473.

[2] – محمد عبد الله دراز، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ك2، دار القلم، 1394هـ/ 1974م، ص 54 وما بعدها.

أ/ **علاقة الفرد بوالديه:** بالتأكيد هذه العلاقة منتظمة بدقة شديدة في شريعة الإسلام[1]، ومن أحق بالرعاية من الوالدين، وما أدراك ما هما؟ إن رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما، وإذا كان للجهاد المكانة البارزة والأهمية المشهودة، ولكن إن قورن ببر الوالدين فهما المقدمان عليه لما يرويه عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء رجل إلى نبي الله– صلى الله عليه وسلم – فاستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد[2]، ولا يخفى الفضل العظيم لما أقرته السنة من حسن تربية الفرد على بر والديه حال حياتهما فإن ذلك تابع لما بعد الممات، بالدعاء والذكر الطيب وإنفاذ العهد، وصلة معارفهما وأصدقائهما، قال عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما–: إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه[3].

ب/ **علاقة الفرد بأرحامه:** إن رعاية الأرحام وصلتهم تابع حقيقي لبر الوالدين وتتمة فاضلة، وعليه فهي تقع على جانب أداء الحقوق التي هي كذلك واجبات[4]، ولهذا اتصف واصل رحمه بالإيمان بالله واليوم الآخر، قال أبو هريرة–رضي الله عنه–: إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم – قال: ...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه...[5] وما يريد المرء من جزاء أكثر من إطالة العمر وسعة في الرزق بل حتى تدفع عنه ميتة السوء، ولا يخفى أن الذي يذنب الذنب الكبير تكون له توبة إن هو أبر بأمه أو بخالته لعظيم الفعل وجزيل الثواب، وما أعظم الحوافز التي تؤدي بالفرد إلى تأكيد الروابط الاجتماعية في أخص صورها ما رواه أبو هريرة أيضا قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا، وأدخله الجنة رحمة، قالوا: وما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك فإن فعلت ذلك يدخلك الله الجنة[6].

ج/ **علاقة الفرد بجيرانه:** تناولت السنة النبوية تنظيم علاقة الفرد بجيرانه على أساس معرفة الحقوق والواجبات، حيث اعتبرت من أوكد الواجبات اتجاه الجيران كف الأذى عنهم وأنه يساوي عشر مرات أذى غيرهم، بل إنه– صلى الله عليه وسلم – نفى الإيمان عمن يؤذي جاره فقال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يؤمن الجار بوائقه[7] أي شروره، وبالمقابل ندبت السنة إلى إكرامه والإحسان إليه ورعاية مختلف أموره، من ذلك إذا طلب الاستعانة يجاب لذلك، وإذا استقرض يقرض، وإذا افتقر أعين، وإذا مرض تعينت زيارته، وإذا أصابه خير

---

[1] – مجاهد محمد هديري، منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية، المرجع السابق، ص 141.

[2] – صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، رقم الحديث3004، ج4، ص56.–رواه أبو داوود في سننه، باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان، كتاب الجهاد، رقم 2529.

[3] – صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما، رقم الحديث2552، ج1، ص1979.

[4] – مجاهد محمد هديري، منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية، المرجع السابق، ص 147.

[5] – مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبو هريرة، رقم الحديث7626، ج13، ص64.

[6] – رواه الحاكم في مستدركه، باب تفسير سورة المطففين، كتاب التفسير، رقم الحديث 3912. أبو بكر أحمد بن عمرو البزار،البحر الزخار (مسند البزار)، حديث رقم: 8635، المصدر السابق، ج15 ص219.

[7] – صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم الحديث6016، ج8، ص10.

هنئ، وإذا أصابته مصيبة عزي، وإذا مات شيعت جنازته،ولا يستطال عليه بالبنيان فيحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا يؤذى بريح الطعام إلا أن يعطى، بل أبعد وأدق من هذا ألا يخرج الأطفال بطعام أو بفاكهة حتى لا يغار بقية الأطفال ويكلفون أهلهم فوق الطاقة، وما أعظمك يا رسول الله حين تقول رفعا لشعار الإيمان: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره[1].

د/ علاقة الفرد برفقائه: إن تسديد السنة لعلاقات الأفراد يتسع ليشمل الأقربين والأباعد، فبخصوص الرفقاء فقد شجع النبي – صلى الله عليه وسلم – انتقاء الرفيق الخير حتى يرفع به مستواه ويفيده في أخلاقه، وحذر من رفيق السوء فالمرء على دين خليله، حيث مثل – صلى الله عليه وسلم – للجليس الصالح بحامل المسك الذي إما أن يهبك من مسكه، أو تشتري منه، أو تشم رائحة طيبة، وأما الجليس السوء فهو كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحا منتنة[2].

هـ/علاقة الفرد بمن حوله من الناس: ويأتي على رأسهم الكبير إما في السن أو العلم أو التقوى والدين، حيث جعل من باب القواعد المتينة في تعامل الصغير مع الكبير وإكرامه، عن أنس —رضي الله عنه– قال: رسول الله– صلى الله عليه وسلم –: إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط —[3]، ووجهت السنة العناية إلى وجوب أن تكون العلاقات العامة مبنية على التقدير والحب والاحترام بعيدا عن البغضاء و الشحناء والفرقة، ولعل من أهم دعائم العلاقات الاجتماعية أن تكون حبا في الله فقط ليكون مجسدها فعلا ضمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما خرج منه إلا شانه.

من الاهتمامات الكبرى للإسلام خلق مجتمع متماسك وقوي، تسوده المودة والتعاون، بحيث يميل البعض إلى مساعدة البعض الآخر في الأمور كلها، ولعل من أوجه التعاون الفعال القرض الحسن وهو تعبير عن توجه نفسي لدى الإنسان لمد يد العون لأخيه، والقرض الحسن[4] خاصة مهمة إنسانية لإعلاء قيم التكافل الاجتماعي وتعميقا لمعنى التعاون الإيجابي نظرا لأنه يساهم في تفريج الكروب، وإغاثة الملهوف، كما يزيد المحبة لأنه يتناسب مع المروءة ومكارم الأخلاق، أضف إلى هذا فهو من ضمن مرتكزات التعامل بين الناس مراعاة للجانب الأخلاقي، لهذا فالقرض الحسن من أهم مضامينه ما جاء في حديث النبي– صلى الله عليه وسلم –: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان

[1] – انظر تفصيل حقوق الجوار التي هي ثلاثة أنواع مجاهد محمد هديري، منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية، المرجع السابق، ص 151.

[2]-البخاري حديث رقم: 5534، المصدر السابق. ج07 ص96.– مسلم، حديث رقم: 2628، المصدر السابق.، ج04 ص 2026.

[3]–قال العراقي: "أخرجه أبو داوود من حديث أبي موسى الأشعري بسند حسن. عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ج05 ص215.

[4] – انظر تفصيل دعائم تحريم الربا وهي: الدعائم الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، محمد عبد الله دراز، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية، المرجع السابق، ص 166– 173.

الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة.[1]

الخاتمة:

إن تقديم موضوع الأخلاق كبعد هام من أبعاد الحياة الاجتماعية، يعني أن البعد الأخلاقي يستمد جذوره من القيم الأخلاقية السائدة في المجتمعات على اختلافها، ويشكل الدين في المجتمعات البشرية إحدى القواعد الرئيسة للقيم الأخلاقية التي يتحلى بها الأفراد والجماعات في هذه المجتمعات.

عليه ترتبط أخلاقيات المجتمعات وقيمها بمجموعة القواعد الأخلاقية التي تحكمها، وتضبطها القيم السائدة في المجتمع، ويحدد الإطار الأخلاقي من خلال القيم التي يؤمن بها مثل الصدق والأمانة والعدل والمساواة والشجاعة والحزم والتعامل الإنساني والقدوة الحسنة للتابعين قولاً وعملاً، ومنها القيمة المعنوية للقرض الحسن في أجمل صور تكاثف الأفراد تحقيقا

[1] – البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المظالم رقم 51، باب لا يظلم المسلم المسلم و لا يسلمه، رقم الحديث 2310، 2/ 863.– مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة و لآداب رقم 45، باب تحريم الظلم، رقم الحديث(58)(2580)، 8/ 377.

لقوله- صلى الله عليه وسلم- مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقي الجسد بالسهر والحمى[1].

قائمة المصادر والمراجع:

- الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، القاهرة/ مصر، 1394هـ - 1974م.

-البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، صحيح البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ.

- البزار أبو بكر أحمد بن عمرو ،البحر الزخار (مسند البزار)، محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (ما بين 1988م، و 2009م).

- البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003م.

- ابن الحجاج مسلم أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمد النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1411 – 1990.

- ابن حبان محمد، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان الطبعة: الثانية، 1414هـ 1993م.

- ابن حنبل أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد،وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

- دراز محمد عبد الله ، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ك2، دار القلم، 1394هـ/ 1974م.

- الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم ، مسند الشاميين، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 – 1984.

- الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة/(ب د ت).

[1]-البخاري تحت رقم:6011، المصدر السابق؛ ج08 ص10.- ومسلم تحت رقم: 2586، المصدر السابق؛ ج 04 ص1999.

- عبد الله محمد ، دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1412/ 1991.
- عبد الواحد علي ، المسؤولية و الجزاء، ط3، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، 1383/ 1963.
- العجلوني إسماعيل بن محمد ، كشف الحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 4، 1405.
- عودة عبد القادر ، التشريع الجنائي الإسلامي، ج1،ط 4، مؤسسة الرسالة، 1403هـ/ 1983م.
- القرضاوي يوسف ، الخصائص العامة للإسلام، باتنة، الجزائر، شركة الشهاب.
- محجوب محمد علي، الوسيط في التشريع الإسلامي ونظرياته العامة، مصر، شركة ناس للطباعة.
- محمد إبراهيم ،النفس الإنسانية في القرآن الكريم.
- المكي أبو طالب ، قوت القلوب في معاملة المحبوب، ط1، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1381/ 1961.
- نصار جمال ، مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي، ط1، دار الوفاء، 1425هـ/ 2004.
- هديري مجاهد محمد ، منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية، ط1، مصر، مطبعة الأمانة، 1398هـ/ 1978م.
- الهيتمي علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: تحقيق حسام الدين القدسي . مكتبة القدسي . القاهرة، 1414/ هـ1994م.